AFAQ LUGHAWIYYAH
© PENERBIT UNIVERSITI SULTAN ZAINAL ABIDIN
https://journal.unisza.edu.my/afaq
e-ISSN: 2990-9007

Jurnal Afaq Lughawiyyah
Universiti Sultan Zainal Abidin
مجلة آفاق لغوية - جامعة السلطان زين العابدين

تحليل الخطاب: من المجرى اللساني إلى المسرى الفلسفي

[DISCOURSE ANALYSIS: FROM THE LINGUISTIC ORBIT TO THE PHILOSOPHICAL PATH]

Aziz Ghnym[1] & Mohamed Chiguer[2]

[1,2] Mohammed V University in Rabat, Kingdom of Morocco

Corresponding Author: *aziz.ghnym@um5r.ac.ma*

Received: 28/8/2023	*Accepted: 12/2/2024*	*Published: 31/3/2024*

ملخص

تنهض هذه الورقة البحثية على محاولة للنبش في البنى العميقة للغة والفكر، والحفر في الجذور المعرفية للخطاب، والسفر في عوالم التاريخ قصد تلمس الطريق الذي مر منه تحليل الخطاب مع اقتفاء للمدارات اللسانية والمسارات الفلسفية التي أسهمت في بلورته وتشكله، وبناء عليه سنحاول في المبحث الأول الوقوف عند خلاصات البحث اللساني حول الخطاب، والتي تمخضت في مطالع القرن الماضي مع دي سوسير وجاكوبسون وبنفنست، وفي المبحث الثاني سننطلق نحو تبيان الرؤى والمقاربات التي تبنتها مدرسة تحليل الخطاب الفرنسية مع مانغونو وبيشو وفوكو.

الكلمات المفتاحية: الخطاب، تحليل الخطاب، اللسانيات، الفلسفة.

Abstract

This research paper aims to delve into the deep structures of language and thought, to dig into the cognitive roots of discourse, and to travel through historical worlds in order to grasp the path through which discourse analysis has passed. It traces linguistic orbits and philosophical paths that have contributed to its crystallization and formation. Building on this, in the first section, we will attempt to summarize the linguistic research findings on discourse, which emerged in the beginning of the past century with De Saussure, Jacobson, and Benveniste. In the second section, we will move towards elucidating the insights and approaches adopted by the French discourse analysis school with Manguno, Pécheux, and Foucault.

***Keywords**: discourse, discourse analysis, philosophy, linguistic*

مقدمة

لقد أصبح جليا أن استقصاء أي حقل معرفي كيفما كان ورصد إنجازاته، أمر بالغ الأهمية والصعوبة في الآن نفسه، إن لم نقل مستحيلا، وذلك لما تشهده المعرفة الإنسانية من تطور وتوسع مطردين، ويدل على ذلك كثرة الأبحاث ورواج النظريات والمفاهيم، وتزداد الصعوبة في زحمة هذا الركام المعرفي، إذا ما اعتمد الباحث نسقا معرفيا بعينه لدراسة موضوع ما، لما يصادفه من مفاهيم ومصطلحات كثيرة، فلا يكاد يستوعب ما يستخدم وما يوظف من هذه المصطلحات والمفاهيم، فقد يسمع الواحد مصطلح النص والخطاب وتحليل الخطاب، فيظن أن الخطاب هو النص أو النص هو الخطاب، فتختلط عليه الأمور، وبالتالي ومن هذا المنطلق سنحاول في هذه الورقة المقتضبة تناول جوانب أساسية في تحليل الخطاب، في ظل نتائج ومعطيات البحث اللساني والفلسفي المعاصر، بغية الكشف عن مكوناته ومكنوناته.

أهمية البحث

تكمن أهمية هذا البحث في كونه من الدراسات العلمية القليلة التي تقتفي بشكل مستفيض إسهامات كل من اللسانيين والفلاسفة في بلورة مفهوم تحليل الخطاب، وقد غرف الباحث من ثلة من الدراسات والبحوث المتخصصة في هذا المجال ليستعرض بشكل مفصل مواقف وطروحات أهم علماء اللسانيات والفلاسفة وإضافاتهم القيمة. وربما قد يشكل هذا البحث مدخلا محفزا يؤسس لبحوث أكاديمية ورسائل جامعية تنحو نفس النحو لإغناء المكتبة العربية وإثراء ذخائرها بالشكل الذي يسمح بمواكبة نظيراتها الغربية.

مشكلة البحث

يروم هذا البحث تقفي معالم الخطاب وبنياته، ورصد تشكلاته من خلال المنجز اللساني والفلسفي، الرامي إلى فهم الواقع عن طريق كشف ملفوظاته، كما يهدف هذا البحث الوقوف عند القواعد الصورية التي سنها اللسانيون والفلاسفة لتحديد نمط وجود الخطابات في الممارسات والسلوك، والوصول إلى العدة المفهومية التي اجترحها لاستكناه علاقة البشر بالحقيقة والمعرفة والسلطة.

وفي هذا المقام يتيح تناول موضوع تحليل الخطاب إمكانية الانفتاح على مقاربات متنوعة مثل البنيوية والسيميائية والتفكيكية ومجالات معرفية متباينة من قبيل الفلسفة والأدب واللسانيات، وكذا الانزياح نحو طروحات أفضت إلى دلالات تنتسب لحقول فكرية مختلفة من دراسة الأرشيف والوثائق إلى علم النفس الاجتماعي والإيديولوجيا.

وسنحاول من خلال هذا البحث الإجابة عن الاشكالية التالية:

- إلى أي مدى استطاع اللسانيون والفلاسفة إقامة وتشييد تاريخ للخطاب و تعبيد طرق ومسالك لتحليله عبر خرائط منظمة للمعنى ومفاهيم مقعدة للممارسات الاجتماعية؟

وسنطرق باب هذه الاشكالية المطروحة من خلال مجموعة من الأسئلة الفرعية المساعدة على تحليل الموضوع من قبيل:

- ما الخطاب؟ وما هي قوانين انبنائه وتشكله وشروط وجوده؟ هل ينبثق من الذات أم من الفكر أم ينجلي من خلال حقل الممارسة التي تلفه وتحيط به؟ هل هو نسق مغلق أم منفتح على المعرفة والسلطة؟

منهج البحث

تقتضي مقاربة موضوع تحليل الخطاب ومعالجة الأسئلة الإشكالية أعلاه استخدام المنهج الوصفي التحليلي وذلك من خلال استحضار المواقف والأفكار والطروحات التي يستبطنها الموضوع المدروس، والعمل على تحليلها بطريقة استقرائية قادرة على استجلاء المعاني الكامنة فيها، بلغة مقنعة ومعبرة لأجل تحقيق الفهم وترسيخه.

المبحث الأول: المجرى اللساني للخطاب

أسهمت خلاصات البحث اللساني مع دي سوسير (Benzrrouk, 2011) في بداية القرن العشرين، في إرساء مصطلح الخطاب على قاعدتي اللغة والكلام، وعدت هذه الخطوة من لدن المختصين أساسية ومحورية لتحديد مفهوم الخطاب، فاللغة عموما حسب دي سوسير نظام من الرموز يستعملها الفرد للتعبير عن أغراضه، والكلام إنجاز لغوي فردي يتوجه به المتكلم إلى شخص آخر يدعى المخاطب (De Saussure, 1980) ومن هنا تولد مصطلح الخطاب باعتباره رسالة لغوية يبثها المخاطِب إلى المخاطب، فيستقبلها ويفك رموزها، وبالتالي يتم حدوث الكلام/الخطاب، وفق الدائرة التي تستلزم وجود شخصين على الأقل يتبادلان الخطاب (المخاطِب والمخاطب) والخطاب يكون خاضعا لقواعد متفق عليها، يفهمها طرفا الخطاب، وهذه العناصر أو أطراف الخطاب (Etbbal, 1993) كما هو معلوم قد أرسى دعائمها "رومان جاكوبسون" في نظريته التي تناول فيها جهاز التخاطب وحصول الإفادة بين عناصره، كما هو واضح وجلي في هذه الخطاطة:

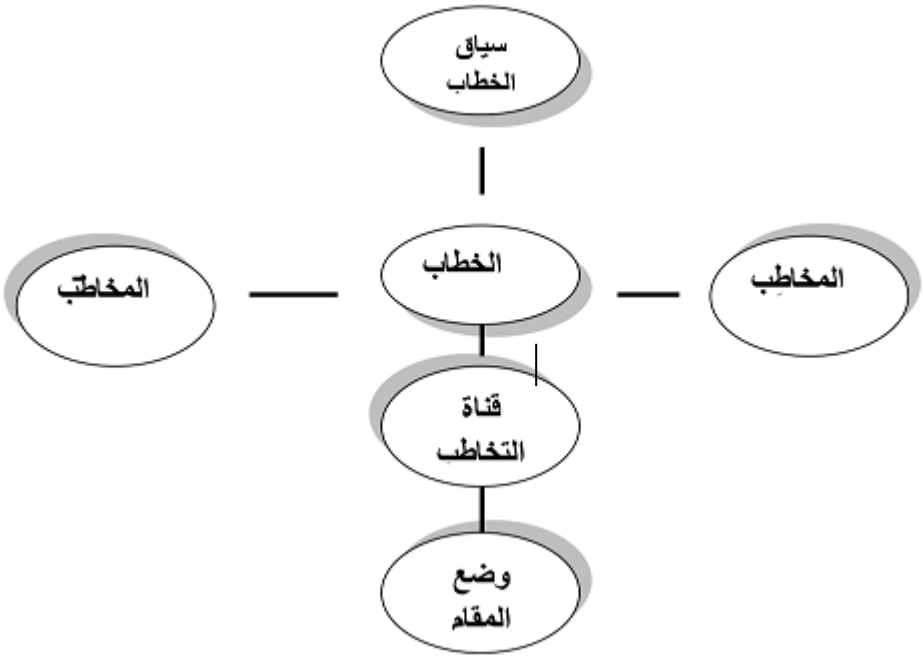

وتبعا للخطاطة أعلاه، تمكن "جاكوبسون" من اكتشاف وتحديد كل عنصر من هذه العناصر الستة، التي ينهض عليها التواصل اللغوي.

ولقد استرعى مفهوم الخطاب اهتمام اللسانيين، وفي هذا المقام يجمع كل المتحدثين عن الخطاب وتحليل الخطاب على ريادة زليغ هاريس (١٩٥٢) في التأصيل لمفهوم الخطاب (Moussa, 2020)، فهو أول لساني حاول توسيع حدود هذا المفهوم والخروج به من دائرة الجملة مع ربطه بالثقافة والمجتمع، مركزا على المجال اللساني معرفا الخطاب على أنه "ملفوظ طويل، أو هو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية بشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض" (Moussa, 2020).

هكذا قدم لنا "هاريس" الخطاب كمتوالية من الملفوظات ذات علاقات معينة، منطلقا في ذلك من تعريف "بلومفيلد" للجملة عبر تأكيده على أن وجود أي الخطاب رهين بالأساس بنظام متتالي من الجمل يقدم بنية وشكلا للملفوظ، ليأتي بعده "إميل بنفنست" صاحب النقلة النوعية في بلورة مفهوم الخطاب، مشيدا إياه على ركائز وخبرات لسانية توصل إليها "دوسوسير" (Duenker, 2015) قبله، متجاوزا بذلك الإطار الشكلي للسانيات البنيوية والكلام، طارحا مسألة الوظيفة ودور الفاعل المتكلم في العملية المنطوقة، منتهيا إلى أن الكلمة تشكل نقطة فصل في ميادين اللغة والكلام، حيث يتمثلان في: النظام الشكلي القائم بين الوحدة والخطاب (Beghoura, 2000) وهما قطبان أساسيان في تشكيل نظام الدلالة في اللغة، موضحا

أن "التلفظ" هو الفعل الحيوي في إنتاج خطاب ما، وهو مقابل للملفوظ بوصفه الموضوع اللغوي المنجز والمستقل عن الذات التي أنجزته، معتبرا الجملة بذلك أصغر وحدة في الخطاب، واللسان أداة للتواصل ونقل الخطاب، ومن ثم يتحدد الخطاب من منظوره على أنه: "الملفوظ منظورا إليه من وجهة آليات وعمليات اشتغاله في التواصل" غير أن الملفوظ وحده حسب بنفنست لا يحدد الخطاب إلا إذا أضيفت إليه وضعية الاتصال وفق ما تبلور مع شارودو (الخطاب = وضع الاتصال + الملفوظ (Charaudeau, 1995).

ومن هذا المنطلق يتضح أن الخطاب وحدة لغوية تولد من لغة جماعية تفوق الجملة، وأن كل تلفظ يفترض بالضرورة متكلما يستهدف التأثير في المستمع بطريقة ما، ومن ثمة يصبح المنطوق اللغوي جزءا من الخطاب، وعلاقته به كعلاقة الجزء بالكل، إلا أنه يتميز عن الخطاب في كونه يستطيع أن يستقل بذاته،أي أنه ليس مشروطا بالخطاب، غير أنه يمكن أن يقيم علاقات متشابكة مع التحليل الخطابي حيث أن المفهوم الاصطلاحي للخطاب هو: "الميدان العام لمجموع المنطوقات، أو هو ممارسة لها قواعدها التي تدل دلالة وصف على عدد معين من المنطوقات وتشير إليها"، ومن ثم فمصطلح الخطاب يعتمد المنطوق واللغة معا.

وفي هذا الإطار نبه بنفنست إلى أن التلفظ (Enonciation) هو موضوع الدراسة وليس الملفوظ (Enoncé)، فأبرز أن بين الخطاب والملفوظ تداخلا، إذ الملفوظ يتشكل من جملة أو من عدة جمل تصل عند البعض إلى حجم المؤلّف، وقد يكون هذا الملفوظ دراسة نحوية أو غير نحوية، ذات سمة دلالية أو غير دلالية، فالملفوظ هو كل جزء من أجزاء الكلام يتلفظ به المتكلم سواء أكان مفيدا أو غير مفيد، عكس التلفظ الذي هو خطاب يتوافر على تمام الفائدة، ومن ثم ارتبطت دراسة آلية الخطاب في اللسانيات الفرنسية به (Ricoeur, 2017).

لقد استطاع بنفنست الجمع بين معطيات لسانية متفرقة ومفاهيم لغوية غربية، ليبلور نظريته في هذا المضمار، حيث يرى أن اللغة بوصفها نظاما مجردا أو طاقة مخزونة في ذهن الإنسان، لا تتحول إلى كلام حقيقي أو إلى خطاب إلا بواسطة عملية القول ذاتها، وهذا ما أكده طه عبد الرحمن في تحديده للخطاب على أنه كل منطوق موجه إلى الغير بغرض إفهامه، ذلك أن حقيقة الكلام: "ليست الدخول في علاقة بألفاظ معينة بقدر ما هي الدخول في علاقة مع الغير، بمعنى أن الذي يحدد ماهية الكلام إنما هو العلاقة التخاطبية وليس العلاقة اللفظية وحدها، فلا كلام بغير تخاطب، ولا متكلم من غير أن تكون له وظيفة المخاطِب" (Taha, 1998) مما يجعل الخطاب هو شد حبل بين طرفي التخاطب، وفيه تبدو قيمته الحوارية، فليس المخاطِب وحده سيد الكلمة، بل السيادة نتيجة للتقاطع الخطابي بين المتخاطبين، وعليه فإن الخطاب عنده لا يتحقق إلا ضمن الفضاء الحواري.

وفي هذا المقام عدت أبحاث "بنفنست" نقطة تأسيس لمفهوم الخطاب استفاد منها اللسانيون اللاحقون حيث حدد الفرنسي أوليفي روبول الخطاب (Zyoun, 2008) من خلال ثلاثة معان:

- المعنى الشائع: أي أن الخطاب هو مجموع منسجم من الجمل المنطوقة جماهريا من طرف الشخص نفسه عن موضوع معطى ومثال ذلك (الخطاب الانتخابي).

- المعنى اللساني المختزل: يعتبر الخطاب "متوالية من الجمل المشكلة لرسالة لها بداية وانغلاق" إنه إذن وحدة لسانية تساوي الجملة أو تفوقها

- المعنى اللساني الموسع: وهنا تأخذ اللسانيات الاصطلاح بمعنى أكثر اتساعا، إنها تقصد بالخطاب مجموع الخطابات المرسلة من لدن الفرد أو من طرف الجماعة الاجتماعية نفسها التي تعرض طبائع لسانية مشتركة.

وحتى تتحقق عملية التخاطب حسب"روبول" يفترض وجود مخاطِب ومخاطَب، وتوافر الحوار/التبادل الكلامي في الخطاب ليؤدي دوره على أكمل وجه، فهو إذن نشاط لغوي إنساني بالغ الأهمية، لا يستطيع الفرد الاستغناء عنه، وهو أعم من الجملة باعتباره تركيبا من الجمل المنظومة طبقا لنسق مخصوص من التأليف.

مما سبق يمكن القول أن اللسانيين قد حددوا مصطلح الخطاب في كونه عبارة عن نص محكوم بوحدة كلية واضحة، ويتألف من صيغ وجمل متراصة ومنسجمة تصدر عن المخاطب الذي يود تبليغ الخطاب وإيصاله إلى المخاطب.

المبحث الثاني: المسرى الفلسفي لتحليل الخطاب

لا مواربة في القول أن سنة ١٩٦٩ قد كانت منعطفا مهما في تبلور تصور جديد للخطاب أو بمعنى أصح تحليل الخطاب وقد تمثل هذا في صدور عدد خاص من مجلة Language بعنوان "تحليل الخطاب" وترجم في ثناياه نص شهير لزليخ هاريس، موسوم بتحليل الخطاب ثم نشر "ميشال بيشو" لكتاب التحليل الآلي للخطاب وتأليف ميشال فوكو لكتاب حفريات المعرفة، وهذا ما سمح ببروز ما صار يعرف فيما بعد بالمدرسة الفرنسية في تحليل الخطاب (Maingueneau & Charaudeua, 2008).

ولقد شكلت دراسة الخطاب قطب الرحى في هذه الأعمال حيث أعاد أصحابها النظر في مفهوم الخطاب لأجل تخليصه من ربقة الدرس اللغوي اللساني الضيق والخروج به من شرنقة البنيوية المنغلقة والجامدة على النصوص رافعين شعار "البنيات لا تخرج إلى الواقع" منتقدين

بذلك اتجاهين سائدين آنذاك في دراسة الخطاب: اعتد أولهما بالتشكل اللساني للخطاب، (Abid, 2013) فاختزله في تحليل مكوناته اللغوية كما أسلفنا الذكر، وبالغ الثاني في إيلاء الايديولوجيا مكانة كبيرة حتى ذوب ماهو خطابي فيما هو إيديولوجي حينما رفض الفيلسوف الماركسي ألتوسير الفكرة السائدة التي كانت تعتبر الوعي هو المجال الذي تصدر عنه الإيديولوجيا، كما رفض الاكتفاء بظاهر الخطاب ومنطوقه. فالإيديولوجيا في تقديره تضرب في اللاوعي بجذورها، وهي التي لا تفصح عن نفسها إلا إذا تجاوزنا الخطاب الظاهر إلى آخر أعمق غورا وأخفى حضورا وهو الذي يمثل في نهاية الأمر الإيديولوجيا.

والواقع أن أفكار ألتوسير هذه لم تؤثر فحسب في تصور الباحثين اللاحقين للخطاب وطرائق تحليلهم، وإنما وجهت فريقا مهما منهم نحو شكل من الخطاب بعينه تمثل في الخطاب السياسي باعتباره أفضل نموذج تتجلى فيه هذه العلاقة المعقدة بين الظاهرة اللغوية والظاهرة الأيديولوجية (Abid, 2008)، وهذا ما يفسر استئثار المدونة السياسية بالنصيب الأوفر من اهتمام من يمثلون المدرسة الفرنسية في تحليل الخطاب أثناء بدايتها ولا سيما بعد أحداث ماي ١٩٦٨ التي وجهت أنظار العامة والخاصة إلى الساحة السياسية وإلى ما يجري في أروقة الجامعات من ثورة وغليان ومظاهرات تتزعمها حركات طلابية، سرعان ما انتقلت إلى الشارع الفرنسي لتلتحم بها الجماهير العريضة من العمال والمثقفين.

ويعد "ميشيل بيشو" من أبرز تلامذة "ألتوسير" الذين تأثروا مثله بالمحلل النفسي "لاكان" وانصرفوا نحو الكشف عن المسار الإيديولوجي الذي يشتغل داخل الخطاب منتقدا في الآن نفسه النزعة الوضعية والتي رفضت لأسباب مختلفة التحليل النفسي، معتبرا أن ما هو خطابي ليس إلا مظهرا ماديا من التشكل للإديولوجيا، نافيا بذلك الزعم القائل بأن الذات المتكلمة هي مصدر المعنى وهي قائلة الخطاب. فالمنظور عند "بيشو" أن الذات ليست حرة في إنتاج المعنى بمجرد ان تؤلف بين وحدات من اللغة تحمل دلالة ثابتة كما ينحو الاعتقاد السائد إلى ذلك، بل هي تذعن أثناء ذلك الفعل للتشكل الخطابي الذي ينخرط فيه خطابها، وهذا ما يجعل "بيشو" يقر بأن فهم أي خطاب يبقى متعذرا ما لم ندرجه ضمن تشكيلة خطابية ما. وأن تحليل الخطاب لا ينبغي أن يبقى حبيس المعجمية بل يلزم استحضار أبعاد أخرى على أساس أن كل خطاب إلا وتحضر فيه خطابات أخرى تعتمل فيه، يتغذى منها ويعكسها بشكل أو بآخر في الآن نفسه.

وضمن نفس السياق وعلى نحو سردي يقدم "دومينيك مانغونو" في مؤلفه المشترك مع"شارودو"والموسوم بتحليل الخطاب (Maingueneau & Charaudeua, 2008) جملة من المفاهيم والاستعمالات التي يمكن للخطاب أن يعنيها، وإننا لنفضل أن نذكرها مختزلة ومؤولة على النحو التالي:

- الخطاب يكافئ الكلام بالمفهوم السوسيري، أي الواقع على طرفي تقابل وتضاد مع اللسان.

- الخطاب هو وحدة ذات بعد أسمى من الجملة، مما يجعله معادلا لمقولة النص.

- الخطاب هو الملفوظ في الاستعمال التداولي، حيث يرتكز على دينامية التلفظ، وعلى العلاقة القائمة بين شركاء الفعل التواصلي، ومن ثم على تثبيته في سياق ما.

- الخطاب هو ذلك النظام الذي ينجلي وينكشف على نحو ما، عبر جملة من الملفوظات المشروطة بوضعيات اجتماعية.

ومن خلال ما تلمع إليه هذه التحديدات يتضح أن الخطاب حسب مانغونو وشارودو يلعب دورا محوريا في إنتاج كما في تفسير الجملة المنطوقة، على اعتبار أن الكلمات لا تحمل دلالتها المعجمية، بل دلالتها السياقية وأن "الخطاب ليس مجموع الملفوظات التي يتلفظ بها المتكلم، بل الخطاب هو مجموع الملفوظات والنسق الذي يحكم هذه الملفوظات. وليس كذلك موضوع تحليل الخطاب "التنظيم النصي في حد ذاته ولا مقام التواصل وإنما ينبغي أن يكون نظرا في آليات التلفظ التي تصل تنظيما نصيا محددا بموقع اجتماعي محدد" (Maingueneau & Charaudeua, 2008) فلا داعي للحديث إذن عن تحليل الخطاب في أبحاث تتعلق بالتداولية كأبحاث أوزفالد ديكرو التي تتناول الملفوظات مفصولة عن السياق.

وفي نفس المنحى اقترن الخطاب وتحليل الخطاب كذلك في الفلسفة، بالفيلسوف الفرنسي "ميشيل فوكو" وذلك من خلال حضور هذا المصطلح/المفهوم بشكل غزير في معظم كتاباته، حيث يعرف فوكو (أي الخطاب) بكونه "مجموعة من المنطوقات بوصفها تنتمي إلى ذات التشكيلة الخطابية...".

ولقد عمل "فوكو" شأنه شأن الكثيرين (مانغونو وبيشو وديبوا...) على صقل مفهوم الخطاب لأجل تحريره من ربقة قيود الدرس اللغوي اللساني الحسيرة التي قيده بها البنيويون، وذلك بسعيهم لاستبعاد كل ماهو فوق النص أو خارجه، وبالخصوص السياقات الاجتماعية والنفسية والتاريخية والثقافية. حيث نهض فوكو بدور مركزي في تطوير تحليل الخطاب من خلال تشخيص أعطاب الحاضر ضاربا عرض الحائط بالوثوقيات والمسلمات التي أنشأ عليها التراث الفلسفي أقانيمه، إذ لم يتوانى في تمرده على الواقع ببسط مواضيع جديدة وثائرة على المألوف الفلسفي (Boumahrat, 2020)، ولم يألو جهدا كذلك في الدفاع عن مشروعية الهامش وتعرية أساليب التسلط من خلال ممارسات خطابية متحايلة تحاول تأكيد إطلاقيتها وتكميم خصوصيات الآخر وكذلك تعميم مركزيتها.

ويقسم فوكو في هذا الباب الخطاب إلى فصلين أساسيين: "الخطابات التي تقال عبر الأيام والمبادلات وتذهب مع الفعل نفسه الذي نطق بها، والخطابات التي هي مصدر وأصل عدد معين من أفعال القول الجديدة التي نعيد تناولها، وهذه الأخيرة يعاد إنتاجها عبر خطابات أخرى" (Foucault, 1990)، وهي قابلة لأن تقال في المستقبل ثم يقول: "هذا التفاوت ليس قارا ولا ثابتا ولا مطلقا،فهناك من جهة الفئة النهائية من الخطابات الأساسية أو المبدعة، ثم من جهة أخرى تلك الخطابات التي تردد وتشرح وتعلق، فكثير من النصوص الأساسية تتعتم وتختفي، وتأتي التعليقات أحيانا لتحتل المكانة الأولى، لكن يظل مبدأ التفاوت قائما باستمرار" (Foucault, 1990) ثم يمضي نحو محاولة تحليل الخطاب ليس على الأسس اللسانية المعروفة، بل على أساس فلسفي مسترسلا في القول: "الخطاب ليس مساحة رهيفة وضيقة يتماس فيها الواقع واللغة، ويتشابك فيها القاموس مع التجربة، تحليل الخطابات نفسه يضعنا أمام مشهد انحلال عرى الروابط التي تبدو لنا ظاهريا أنها جد وثيقة بين الكلمات والأشياء وأمام ظهور مجموعة من القواعد الخاصة بالممارسة الخطابية، وهي قواعد لا تحدد على الإطلاق الوجود الأبكم والصامت لواقعة ما، بل تعرف نظام الموضوعات"(Foucault, 1987).

وما يمكن أن نستخلصه هنا في واقع الأمر، أن الخطاب حسب الطرح الفوكوي يكتسي طابع عام يتجاوز النص الذي يبقى حبيس اللغة، ويدلي بما هو أهم والمتمثل في الملفوظات والتشكيلات الخطابية، التي تشكل أساس الخطاب ووحدته، وتحيلنا كذلك على الممارسة الخطابية والإستراتيجية الخطابية.

وبهذا المعنى يرى "فوكو" أن الممارسة الخطابية تتحدد من خلال الاهتمام بالأصول، وهذا يدخل ضمن نطاق الحقل التاريخي، الذي يحدد أشكال الممارسات الخطابية الموجودة والمحددة سلفا ضمن قواعد موضوعية وتاريخية مضبوطة بمجال زماني ومكاني، إذ هي تتعدى الذات والعملية التعبيرية، وتقترن فقط بوظيفة الملفوظ داخل التشكيلة الخطابية. وعلى الرغم من أن فوكو يعلن أن مشاريعه المستقبلية ستتقاسمها المنهجية الأركيولوجية والجنيالوجية، إلا أن المتفحص يستشف أن الأركيولوجيا تنتمي أكثر إلى مرحلة الممارسات الخطابية، مرحلة الجنون والطب واللغة، أكثر من انتمائها إلى مرحلة الممارسات غير الخطابية الخاصة بالسلطة والجسد (Beghoura, 2000) وهذا ما يؤكده "فوكو" في حفريات المعرفة حينما يقول: "إن ما ندعوه الممارسة الخطابية، ليس بالإمكان الخلط بينها وبين العملية التعبيرية التي يصوغ بها شخص فكرة أو رغبة أو صورة، ولا بينها وبين مقدرة الشخص على الكلام، حيث يركب جملا نحوية، بل هي مجموعة من القواعد الموضوعية والتاريخية المعينة والمحددة دوما في الزمان

والمكان، والتي حددت في فترة زمنية بعينها، وفي نطاق اجتماعي واقتصادي وجغرافي ولساني" (Foucault, 1987).

وضمن نفس السياق ينظر فوكو إلى الاستراتيجية الخطابية، على أنها تحتوي عنصرين هامين: الأول ويتجسد في الخطاب "إذا ما تمكنا من تحديد القواعد النوعية التي تشكلت وفقها موضوعات الخطاب وعباراته وخياراته النظرية" (Foucault, 1987) . كما أن الخطاب يعتبر موضوع لرغبة في السلطة "الخطاب شيء بين الأشياء وهو ككل الأشياء موضوع صراع لأجل الحصول على السلطة، فهو ليس فقط انعكاسا للصراعات السياسية، بل يعد المسرح الذي يتم فيه استثمار الرغبة" (Foucault, 1990)، أما العنصر الثاني فيتمثل في التشكيلة الخطابية بتنوعها وفرادتها، في رسم ملامح الإستراتيجية التي لا تكون إلا وفق إرادة السلطة والمعرفة.

ويتحدد مفهوم ووظيفة التشكيلة الخطابية كما يبين لنا ذلك ميشيل فوكو من خلال العلاقة التي يقيمها بين الخطاب والمنطوق، وتزداد أهميتها عندما نعرف أنها هي التي تميز بين المنطوقات التي تشكل خطابا، والمنطوقات التي لا تشكل خطابا وهذا ما يوضحه فوكو في قوله: "ينتمي المنطوق إلى التشكيلة الخطابية، مثلما تنتمي الجملة إلى النص، والقضية إلى مجموع استنباطي، غير أنه إذا كان انتظام الجملة يتحدد بقواعد اللغة، فإن انتظام المنطوقات يتحدد بالتشكيلة الخطابية ذاتها" (Foucault, 1987).

وهكذا ومن خلال ما أورده "فوكو"، نصل إلى تبيان طبيعة العلاقة بين الخطاب والمنطوق والتشكيلة الخطابية، فإذا كان المنطوق هو الوحدة الأولى التي يتكون منها الخطاب، فإن مجموعة من الخطابات تكون تشكيلة خطابية، ففي العصر الكلاسيكي مثلا، هناك تشكيلة خطابية حول الجنون تعبر عنها مجموعة من الخطابات، كالخطاب الطبي والخطاب الديني والخطاب السياسي مثلا، وغيرها حيث يكون كل خطاب بدوره هو مجموعة من المنطوقات المكتوبة أو المنطوقة، مع التأكيد على أن الوثيقة أو الأرشيف هو المادة التي اشتغل عليها، لكشف الأبنية اللاواعية للثقافة الغربية (Ben Sbbagh, 2020).

خاتمة

في الأخير يمكن أن نخرج بانطباع عام مفاده أن خلاصات البحث اللساني مع دي سوسير وجاكوبسون وبنفنست والتي تمخضت مطالع القرن الماضي قد ساهمت في تحديد مصطلح الخطاب وفق زاوية ارتكاز لغوي، مدشنة بذلك الطريق لمجموعة من المفكرين والفلاسفة أمثال مانغونو و بيشو و فوكو الذين طبعوا النقاش الفكري الفكري بعد أحداث ١٩٦٨ بتصوراتهم المفصلية في دراسة الخطاب، عبر وصفه وتحديد تشكلاته وانفصالاته، بعدما استشعروا الحاجة

إلى فهم الخطابات والملفوظات في سياقها الاجتماعي والسياسي لا في بنيتها اللغوية الضيقة كما تبلور مع البنيويين، لذلك أرسوا ماسمي بمدرسة تحليل الخطاب راسمين معالم هذا التحليل الفكري بقوة تنظيرية عميقة وبروح فكرية سديدة.

REFERENCES

Beghoura, Zouaoui. (2000). *Mafhoum al-Khitab fi Falsafat Michel Foucault*. al- Qaherah: Majlis Aala Litaqafa.

Ben Sbbagh, Mohammed. (2020). Tahlil al Khitab ’inda Michel Foucault. *Majallat Dirasat*, 5(1), Algeria.

Benzrrouk, Nasr Eddine. (2011*). Mohadarat fi Lisaniyyat al-’Amma*. Alger: Konoz al-Hikmah li Annacher wa Attawzi’i

Boumahrat, Belkhir. (2020). al-Khitab wa al-Tarikh fi Falsafat Michel Foucault. *Majallah al- Tadwin,* 4(1), Algeria.

De Saussure, Ferdinand. (1980). *’Ilm Logha al-’Am.* Tarjamah: Youssef Aziz. Baghdad: Dar Afaq Arabia.

Duenker, Loic. (2015). *Fahm di Sessure wif’kan Limakhtoutatih.* Tarjamah: Rima Baraka. Beirut: al-Monaddamah al-Arabiyah li Attarjamah.

Etbbal, Fatima. (1993). *al-Nazariyyah al-Alsoniyyah ’inda Rouman Jakoubson*. Beirut: al–Mouassasa al-Jam’iyya li Nacher wa Attawzi’i.

Foucault, Michel. (1987). *Hafriyyat al-Ma’rifa*. Tarjamah: Salim Yafout. Beirut: al-Markaz al-Thaqafi al-Arabi.

Foucault, Michel. (1990*). Nizam al-Khitab*. Tarjamah: Mohamed Sabila. Libanon: al-Tanwir.

Maingueneau & Charaudeua. (2008). *Mo’jam Tahlil al-Khitab*. Tarjamah: Sammod wa Lamhiri. Tunis: Dar Sinatra.

Moussa, Youssef. (2020). al-Adaa al-Khatabi li Rayis ljomhoriyyah fi Syak Lwabai. *Majallah Korrasat al-Montada*, 4, Tunis.

Patrick, Charaudeau. (1995). Une Analyse Sémiolinguistique du Discours. *Langages*. N117. Paris.

Ricoeur, Paul. (2017). *al-Khitab wa al-Tawasol*. Tarjamah: Azddine al Khattabi Arribat: Mouassasat Mouminon Bila Hodoud.

Taha, Abderrahman. (1998). a*l-Lisan wa al-Mizan awi al-Thakawthor al-’Aqli*. Casablanca: al-Markaz al-Thaqafi al-Arabi.

Zyoun, Fatih. (2008). Mostalahat al Khitab wa al-Nas. *Majallah Ktabat Mo’asirah*, 70, Beirut.